

صفحة الدراسات في «البناء»، أنشئت لتكون مساحة للابحاث العلمية المتعلقة بشتى المواضيع ذات الصلة في قضايا الأمة والعالم العربي.

وهي إذ تتسع لمثل هذه الدراسات تبقى مجالاً مفتوحاً للحوار وطرح الإشكاليات الفكرية

«أدب المقاومة بين الأسطورة والتاريخ»
للدكتور نذير العظمة

تواصل ثوري ـ تاريخي وإبداع ثقافي دفاعاً عن الهوية



جمجمة سليمان الحلبي التي ما زالت حتى الآن في متحف اللوفر.

كسوريين أن ندرك هذه الحقيقة ونوطن أنفسنا على العمل الموحد في عالمتنا العربي والإسلامي في أطر إنسانية.

أقول سورية لماذا؟ لأن الناس البسطاء في

الحياة اليومية أدركوا من النزاع لا وجهه العالمي بين فرنسا وإنكلترا؛ بل توخذ الدول الأوروبية ضد الإمبراطورية العثمانية الهرمة، وعرفوا أن الهجمة الفرنسية عليه والهجمة الإنكليزية على إخوانهم في المساحة العريضة هي هجمة واحدة. احتلال المرافئ البحرية من جبل طارق إلى عدن في الطريق إلى الهند من قبل إنكلترا وثوب فرنسا إلى ساحة الشرق في غزواتها المفاجئة، وتصريحات نابوليون ربما لأول مرة بإقامة دولة يهودية في فلسطين بعد أن تحطمت أحلامه على أسوار عكا كلها مجتمعة، أظهرت للناس مدى الخطر الذي يحيق بهم في مصر وسورية من عالم غربي متصهين. والخطر الذي ينتظرهم في المستقبل. لماذا هرول سليمان الحلبي من حلب إلى مصر واغتيال كبير نائب نابوليون في مصر بعد ذهابه لإنقاذ الثورة في فرنسا؟ الحلبي من الفدائيين الأول ضحى بنفسه في سبيل استعادة التوازن في علاقات شرق غرب ولو من الناحية النفسية والرمزية لا الاستراتيجية العسكرية.

جمجمته اليوم في متحف اللوفر شاهد على هذا الصراع من أجل القوة بين كل من فرنسا وإنكلترا وبينهما والسلطان الهرم في القسطنطينية. الصالح السياسية والاقتصادية في كفة والتي تعبر عن الاستراتيجية المتصارعة في المنطقة وراء الصراع المشرق لكل طرف الهيمنة والقوة بكل أبعادها. هوية شرق غرب كانت إطارا عاما وغامضا بالنسبة للعالم العربي. العروبة والإسلام واليقظة القومية كانت شبكة واحدة ومتصلة للمقاومة واستجابة طبيعية للتحديات الغربية.

لكن الهوية والمقاومة مجردة من المعرفة والسلاح وتنمية الإنسان والدولة لا تجدي في المساحة الفعلية فقامت حركة التحديث وحركة اليقظة المعرفية لرض البنيات الوطنية والقومية في مصر وسورية والبلدان الأخرى. التعليم وتحديث الإدارة وبناء مؤسسات الدولة كلها ضرورة لهوية حضارية فاعلة. مقاومة الاحتلال لم تؤجل حالة الانهيار بالغرب بل تطلبت تبني الدولة، من هنا فامت البعثات وحركة إحياء التراث والتعليم والترجمة والاستعانة بالاشتراق المعرفي لبناء هوية فاعلة.

اليقظة الوطنية والقومية والدينية حتى، كانت تقدر وتفنن الحضارة غربية كانت أو شرقية. لكنها تقاوم الغتصاب والاحتلال والظلم. فحركات الوطنية منذ النشأة لم تتسلح بالكرهية للغرب بل أنحست بحاجتها إلى إنجازاته وكرهت الظلم الذي ترتبه قواه وجيوشه وأنظفتم.

الإنهيار لا يزال مستمرا اليوم وكراهية الحيف والعدوان والظلم قائمتة.
هذه هي المراحل الأولى لعلاقة شرق غرب أو غرب شرق عشية اصطدام أوروبا بالشرق العربي في القرون الثلاثة من الألفية الثانية للميلاد.

انهيار بالأخر ومقاومة لعدوانه وطفغيانه ولا تزال في آن الحالة مستمرة اليوم، انهيار الجانب المعرفي والتكنولوجي ورفض للقوى الاستعمارية والإمبريالية.

ماذا علينا أن نفعل اليوم بالانهيار والمقاومة وعلاقات التنافر والتجادب بيننا وبين الآخر، علينا أن ندرك أن الحضارة الغربية بكل، لا تتخلى عن استراتيجيتها استيعاب الآخر. لا ثروات وموارد الطبيعية فحسب، بل تمايزه واستقلالية رؤيته الحضارية، قد تتغير تكتيكات الغرب السياسية والاقتصادية؛ لكن استراتيجيته تبقى ثابتة.

خصائص تتوزع المشتركة بين الأمم تقوم بقوة الهوية الواضحة المؤمئة الحضاري، وهو لا يصح بغير

والشراكة مع الآخر الإنساني عند الأطراف المتفاعلة كافة على الساحة. قد يختلف الفرييون على مصالحهم الاقتصادية، والسياسية، لكن استراتيجيتهم الحضارية واحدة. وعلينا نحن

البناء

والسياسية وغيرها، تنشيطاً لدور الثقافة في الصيرورة الاجتماعية.
علماً أن الآراء التي ترد على

مساحة الصفحة تعبر عن أصحابها وليست بالضرورة مطابقة لقناعات الصحفية.

لإنه انطلاقاً من القناعة الراسخة بضرورة خلق حوار فكري حول القضايا والإشكاليات كافة وما

أكثرها، والتي تفرض نفسها على صاحب القرار والمتقف وقادة الرأي والمواطن في أي موقع كان، كانت صفحة الدراسات في «البناء» هي الترجمة العملية لهذه القناعة آملين أن تشكل هذه الصفحة مساحة فكرية ـ سياسية تعنى بيهوم الوطن والمواطن، تدرس الحاضر لترسم المستقبل.



الثورة الجزائرية



أحمد باشا الجزائر



الجنرال كليبر



ابو الطيب المتنبى

إن عظمة الثورة الجزائرية وما رافقها من بطولات، تسمو بالدارس عن مستوى الدراسات الشكلية والتحليلية لشعر النضال. فتتناول العبارة والفكرة والعاطفة ومدى ما أصابه الشاعر من نجاح أو فشل في خدمة الثورة، يبدو لعباً أمام البحث عن التجربة الأولى؛ الشعر الذي قيل في هذه الثورة.

والناسني: نظرتنا إليه على ضوء التجربة السورية.

إن الشاعر الثوري تصح تسميته بشعر الثورة الجزائرية انطلاقاً من هذا المقياس؟ وعلى هذا الضوء، ومن زاوية أخرى، هل نستطيع أن نجمع ديوانا للشعر الذي قيل في الثورة الجزائرية فخر به المكتبة العربية ويكون مثال اعتراف في تاريخنا الأدبي الحديث؟

وهل هذا الشعر الثوري الحق يتخطى المناسبات والمناطق من حدود الزمان والمكان ويقتل من الأثر المحلي ليسو بتجربته الثورية إلى مستوى إنساني يفرض نفسه شكلا ومضمونا لا على المناطق بلغته وحاضر تجربته فحسب، بل على الإنسان في كل زمان ومكان. ولكي لا نذهب بعيدا، هل نستطيع أن نؤلف ديوانا لشعر الثورة الجزائرية بمستوى الممقلات الجاهلية، والفتاىض الأموية، وحماسة أبي تمام، والمطالع من القصائد العباسية والشعر الصوفي نغيا، مع فارق الحدائة وبمستوى هذه الثورة المباركة الرائعة من حيث تصميمها ونضاليتها وعمقها ويعد غايتها وضميمية وجودها الذي تعبر عنه – وجود الحرية والسيادة والإرادة والاستقلال.

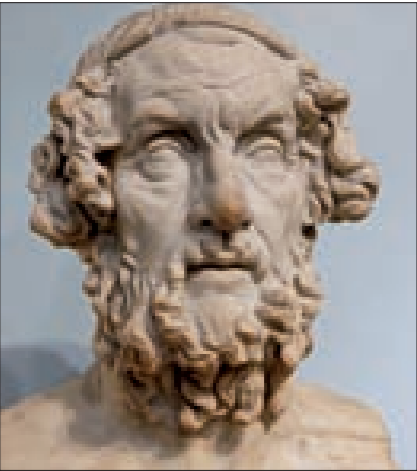
وهل هذا الشعر بمستوى الذروات الفنية في حياتنا وتاريخنا التي تشارف أفقا إنسانياً لا المعاصرة؟ أم أنه يلعب دور الحادي في مؤخرة نضج الأفكار والمشاعر والانفعالات وتخبرها في صير النفس، فتتغلغل إلى الأعماق التي لا تصل إليها القووات السياسية أو التحديات الاجتماعية أو العنطرات الفكرية. قالفن وحده يستطيع أن يلج عمات النفس وأغوارها فيخرج بها، بعد مخاض الخلق، إلى النور.

لبيز في تاريخنا الحديث بعد الحرب الكونية الثانية حدتان خطيران: الأول:المأساة الفلسطينية، والناسني: الثورة الجزائرية. ولكل من هذين الحدين نتاجه وآثاره في حياتنا السياسية والفكرية والفنية. وإذا كانت هذه الآثار قد برزت في مجالات السياسة والفكر والاجتماع بدرجة أقوى وأوضح من بروزها في مجالات الفن، فلأن التعبير عن الحياة –أي الحياة– يحتاج إلى نضج الأفكار والمشاعر والانفعالات وتخبرها في صير النفس، فتتغلغل إلى الأعماق التي لا تصل إليها القووات السياسية أو التحديات الاجتماعية أو العنطرات الفكرية. قالفن وحده يستطيع أن يلج عمات النفس وأغوارها فيخرج بها، بعد مخاض الخلق، إلى النور.

لبيز من ريب في أن معظم الشعراء الذين غنوا التصحيبات التي قام بها القوار الجزائريون والمأسي التي عصفت بأرض الثورة والدم، والبطولات التي انحى لها كل إنسان يقدر البطولة، كانوا صادقين ومخلصين في عواطفهم ومشاعرهم، وأنهم قد خدموا الثورة الجزائرية خدمة جلي، وأسودا إليها صنعيا كبيرا؛ ولكن معظمهم كان ثوريا بالعدوى لا بالمعاناة، صارا في قصائدهم عن تجربة شعورية

تملا لحظات من حياتهم لا عن تجربة ثورية كيانية تملأ حياتهم كلها. لذلك قلما نقع على قصيدة أو جملة قصائد تخلد هذه الثورة العظيمة كلما خلد المتنبى «الحدث الحمراء» أو كما خلد هوميروس «حصار طروادة»، ومع أن شعر النضال الجزائري قد غرر غزارة ملحوظة منذ عام 1955 لكنها غزارة أدت بنا إلى الخيبة من الناحية الفنية؛ فإين هو الشاعر الذي

غداً حلقة ثانية



هوميروس



نابليون بونابرت



سليمان الحلبي يعلم كليبر



عبد القادر الجزائري



سليمان الحلبي